غدٍ قريب، تُبدِّل قادة الساعة بغيرهم، من الرجال المعارضين، الذين لا يقلّون تعلُّقاً بها، من هؤلاء، وتخاذلاً».

ويرفض كمال جنبلاط حصر أسباب الكارثة العربية في فلسطين بهذين السببين الخطيرين، اللذين يصفهما بأنهما من «الأسباب الظاهرة»، أو الخارجية (الاستعمار وعملاؤه)، فيتعدّاهما إلى أسباب جوهرية خفية للنكبة، تتعلق مباشرة بمكوّنات الاجتماع العربي العام، لا سيما:

(أ) الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتأخر في الدول العربية. (البداوة، الإقطاعية أو الملكية الكبيرة والبرجوازية المالية المسيطرة التي تستغل **الوطنية والقومية**، لبلوغ أهدافها).

(ب) الجهل المطبق؛ **فالمعرفة تحرِّرُ بحد ذاتها**.

(ج) الحس الرجعي الذي يجنح، بالأغلبية، إلى التعصُّب الذميم وانقباض الذات على نفسها، وإلى التواكلية التي تغلب في المجتمعات البدائية.

وانطلاقاً من حصره الأولي للأسباب، الظاهرة والكامنة في الجماعات العربية، يُعلن كمال جنبلاط ان: «خطيئتنا الكبرى هي أننا نتطلع، دائماً، إلى الماضي الذي جعلنا منه صنماً في هيكل الأصنام الذي نتعبَّد ... لن تستطيع الشعوب العربية أن تنهض وتتخلص إذا لم ترتفع، بالأمل وتتوق بالنزعة، إلى ما فوق الأوثان، فوق العنصريات والتكتّلات، فوق الاكتفاء بالماضي وآثاره وبالحضارة الغربية وتقليدها وتجديدها، إلى ما هو أثمن من التراث ومن الفلسفة والفن والعلم، إلى الايمان بالحياة...». ويفسرّ كمال جنبلاط هذا الايمان الحياتي، بأنه: أولاً، **ايمان بالتطور** على إطلاقه (تطور الكون والجهاد والمادة الحّية والانسان والجماعة البشرية بجميع عناصرها المادية والروحية). والايمان بالقضية الفلسطينية، يندرج، عنده، في سياق هذا الايمان الكامل بالحياة، الذي هو إيمان بتطور الانسان وانتصاره. ولهذا بادر كمال جنبلاط في مطلع الخمسينات، إلى الإفصاح عن أساس نضاله السياسي بقوله: «إن كلمة الساعة هي في لبنان (وفي البلدان العربية) وفي كل بلد من بلدان العالم: **علينا أن نكون في مقدمة التطور فنصيرُه ويصيرُ منّا**». واعتبر أن القضية الفلسطينية هي مقدمة التطور القومي العربي، الذي سينهض في الخمسينات والستينات، وان تحرر الانسان العربي واحد لا يتجزأ. فلكي تكون مناضلاً عربياً لابد أن تمرّ بالمطهِّر الفلسطيني؛ ولكي تكون مناضلاً فلسطينياً حقاً عليك أن تكون مناضلاً عربياً كاملاً، وملتزماً إنسانياً صارماً. هذه المسألة، بلورها كمال جنبلاط، بشكل أوضح، في مقالته: «لبنان والعالم العربي»، حيث يعلن، في نهايتها، أنه: ربما يتوجب على لبنان أن يضحّي، ذات يوم، بكل شيء، في سبيل حرية شعبٍ ما، أو في سبيل حرية إنسانٍ واحد». وهكذا، تبلغ المواءمة الجنبلاطية، بين القومية العربيّة والقضية الفلسطينية، وبين لبنان والتزامه الحر حتى التضحية بذاته في سبيل الحرية والثورة التحررية، تبلغ ذروة من التكامل الجدلي لم تشهده السياسة العربية الحديثة من قبل.

فكارثة ١٩٤٨ بما سبقها وبما تمخَّضَ عنها، من مستجدات ومتغّيرات ومتطلبات